و ماسواها (231)

رؤية نفسية في المجتمعات العربية!!(2)

د. صادق السامرائي- الطب النفساني، العراق / أمريكا
sadiqalsamarrai@gmail.com

خامسا: مجتمعات إختراق الفراغ!!

العقل يبتكر الكثير من المستجدات ويدفع نحو تطلعات لا يمكن للخيال أن يحيط بها ويتصورها

العقل يبتكر الكثير من المستجدات ويدفع نحو تطلعات لا يمكن للخيال أن يحيط بها ويتصورها, وفي عالم النقل والمواصلات تحققت ثورات فكرية تكنولوجية ذات تفاعلات متطورة وبسرعة فائقة , وأقدمت على هذه الإنجازات أمم وشعوب تبحث عن آفاق الرقاء والتفوق في جميع النواحي والمجالات.

ستتحقق الحركة المطلقة في أوعية الفراغ الأرضي , أو الأنفاق الفراغية التي ستوفر سرعة خيالية للإنتقال ما بين محطات المكان المعلوم

فبعد القطار السريع أو قطار الإطلاقة , أخذت العقول تسعى نحو بناء وسائل النقل وفقا لتكنولوجيا التعلق الكهرومغناطيسي , حيث ستتحرك وسائط النقل بسرعة مذهلة في أنفاق فارغة تتحكم بها قدرات الجذب المعناطيسي الهائلة القوة.

نعم ستتحقق الحركة المطلقة في أوعية الفراغ الأرضي , أو الأنفاق الفراغية التي ستوفر سرعة خيالية للإنتقال ما بين محطات المكان المعلوم.

هكذا يسعى العالم ويتقدم...

فبأي إتجاه نحن نتحرك وبأي المفردات نفكر؟

هكذا يسعى العالم ويتقدم... فبأي إتجاه نحن نتحرك وبأي المفردات نفكر؟

هل تساءلنا وخجلنا من واقع الحال والمآل , ومن طبيعة أفكارنا ومناهج عقولنا؟

فكأننا لا نفكر ولا نعرف كيف نوظف طاقات العقل لبناء الحياة

هل تساءلنا وخجلنا من واقع الحال والمآل , ومن طبيعة أفكارنا ومناهج عقولنا؟

فكأننا لا نفكر ولا نعرف كيف نوظف طاقات العقل لبناء الحياة , وإنما أقوام إنفعالية , منحدرة إلى حيث قاع الهلاك والتداعي الدامي , فما تمكنا من إمتلاك مقومات التفاعل مع مفردات الآتي , وإنما الماضي يعصب عيوننا ويلغي بصائرنا ويؤجج عواطفنا وإنفعالاتنا اللّهابة الحارقة.

ماذا يدور في مجتمعاتنا , وماذا يدور في مجتمعات غيرنا؟

ما هي خططنا على مدى الخمسين سنة القادمة؟

ما هي أهدافنا الإجتماعية والثقافية والإقتصادية والوطنية؟

ما هي مشاريع حياتنا؟

مجتمعات تريد أن تصل إلى أعلى درجات القدرة والتفوق الإبداعي والتكنولوجي والثقافي والعلمي , ومجتمعات لازالت مشغولة بفلان وعلان , وكان من المفروض أن تكون الزعامة لفلان دون فلان.

مجتمعات تبكي بحرقة وألم على ما فات , ولاتعرف أن تضع الأسس اللازمة للآتي الذي يُغني عن الذي مضى وانقضى.

مجتمعات تبكي ومجتمعات تضحك.

مجتمعات تطمح وتنطلق وأخرى يائسة منبطحة.

مجتمعات تتفاعل فيها الأفكار لصناعة الأفكار.

ومجتمعات يتنامى فيها الضلال لإزهاق إرادة الأفكار.

مجتمعات قوية بفعلها وعلومها ومعارفها.

وأخرى ضغيفة بجهلها وأميّتها وإمعانها بالبهتان والتفاعلات اليائسة المريرة.

مجتمعات ذات تطلعات مشرقة , وأخرى ذات توجهات ظلماء لا تتفق وأبسط معاني ومعايير التواصل المتجدد النافع للحياة.

مجتمعات منيرة وأخرى منطفئة لا زالت تتكلم بمفرداتٍ عفى عليها الزمن وهضمها التراب.

مجتمعات تسير نحو الشمس وأخرى تمعن غوصا في طين السوالف والأجداث.

تلك مقارنة صعبة وسلوك تترتب عليه نتائج وصياغات تتفق مع ما يملكه من عناصر ومفردات,

فهل نريد الحياة؟!

سادسا:مجتمعات كاتلها الهبري!!

كاتلها: قاتلها

الهبري: الفقر والعوز الشديد والفاقة

"كاتلها الهبري" تعبير دارج ومعناه كما مبين أعلاه.

ومجتمعاتنا في حقيقتها ينطبق عليها هذا التوصيف لأنها لا تزال في محنة توفير الحاجات الأساسية , التي تجاوزتها مجتمعات الدنيا المتقدمة منذ منتصف القرن العشرين وربما قبل ذلك بعقود.

فالدنيا منشغلة بالإضافات النوعية الأصيلة والإختراعات والإبتكارات , ونحن لانزال في معضلة أزمات السكن وشحة المياة وإنعدام وسائل المواصلات الحديثة والرعاية الصحية البائسة , والمدارس التي لا تصلح لتربية البشر وإعداد الأجيال , وأزمات كهرباء وبطالة وتصريف مياه ونفايات , والفساد تفوح رائحته في الدوائر والمؤسسات.

وأموال النفط تأتي وتستقر في جيوب النهّابين والمتاجرين بالعباد والبلاد , وتُهدر في ما يضر الناس ولا ينفعهم , بل وتشتري الأسلحة اللازمة لقتلهم وترويعهم وتهجيرهم والإستحواذ على ممتلكاتهم وحقوقهم.

مجتمعات الدنيا المتقدمة تتنافس على إستعمار القمر والمريخ وتتسابق على بناء البيوت على سطح المريخ وإطلاق الحياة فوقه , والهيمنة على الفضاء فما عاد الوجود أرضا وماءً , وإنما الفضاء صار سوح صراع وعلى القوى أن تتمسك به وتفرض إرادتها عليه.

مجتمعاتنا تنبش القبور وتنشغل بحل

مجتمعات تبكي ومجتمعات تضحك.
مجتمعات تطمح وتنطلق وأخرى يائسة منبطحة

مجتمعات يتنامى فيها الضلال لإزهاق إرادة الأفكار.
مجتمعات قوية بفعلها وعلومها ومعارفها.

مجتمعات منيرة وأخرى منطفئة لا زالت تتكلم بمفرداتٍ عفى عليها الزمن وهضمها التراب

تلك مقارنة صعبة وسلوك تترتب عليه نتائج وصياغات تتفق مع ما يملكه من عناصر ومفردات.
فهل نريد الحياة؟!

الدنيا منشغلة بالإضافات النوعية الأصيلة والإختراعات والإبتكارات , ونحن لانزال في معضلة أزمات السكن وشحة المياة وإنعدام وسائل المواصلات الحديثة والرعاية الصحية البائسة , والمدارس التي لا تصلح لتربية البشر وإعداد الأجيال

مجتمعات الدنيا المتقدمة تتنافس على إستعمار القمر والمريخ وتتسابق على بناء البيوت على سطح المريخ وإطلاق الحياة فوقه , والهيمنة على الفضاء فما عاد الوجود أرضا وماءً

ومجتمعاتنا تنبش القبور وتنشغل بحل مشاكل العصور , وعليها أن تعيد رسم خارطة الويلات وفقا لآليات الإستعباد الجديدة للبشر المرهون بأدعياء الدين , والذين تجزرهم العمائم وتمتص رحيق وجودهم , وتتركم كالعصف المأكول لينالوا جنات النعيم التي بها يوعدون.

المجتمعات تسعى فوق التراب ومجتمعاتنا تندس في أعماق التراب , ومجتمعات الدنيا فرحة مبتهجة ومجتمعاتنا منشغلة باللطم والبكاء , وتحتفل لدفن شبابها وقرائة الفاتحة على موتاها , ولا هم لها غير التقاتل فيما بينها وفقا لما يُضخ في رؤوسها من نفايات البهتان وأضاليل الإمتهان.

ولهذا فمجتمعاتنا " كاتلها الهبري" , وهي لا تقوَ على إطعام نفسها وإنتاج حاجاتها الأساسية , وتعتمد على الآخرين في كل شيئ , فهي مجتمعات عالة على غيرها , ولولا النفط اللئيم لإنقرضت قبل حين , فالنفط يساهم في بقائها وفنائها الأليم.

تلك حقيقة مجتمعاتنا التي أصابها الإنحطاط الشامل الكامل , في زمن إرتقت فيه مجتمعات الدنيا وتقدمت , وتسلقت سوامق الوجود وإخترقت الفضاء وتفاعلت مع الكواكب والأجرام من حولنا , ونحن لا نزال نعيش في متاهات الغوابر ونندثر بأجداث العصور.

فهل من نداء نكون ونهضة إدراكية , وقدرة على صناعة الحياة بعقل منير وهمة ذات عزم كبير؟!!

سابعا:مجتمعات متأخرة ومجتمعات متقدمة!!

العقل العربي يعيش في نمطية خانقة وقولبة بائسة يائسة تدفع به إلى إستنتاجات خائبة ومنحرفة , يتوحل فيها ويطمر الأجيال بأطيانها , فيفقد القدرة على النظر بزاوية أخرى , وأن يرفع بصره لكي يرى الأفق الرحب المطلق الواعد بالجديد.

وبسبب ذلك مضت آليات التنميط والتحنيط في روح الأجيال , ومضى القول بأن الشعب العربي متأخر وشعوب الدنيا الأخرى متقدمة , وفي هذا الكثير من الإنحراف وعدم صواب التقدير , ذلك أن عددا من المجتمعات العربية في النصف الأول من القرن العشرين , كانت أكثر تقدما من العديد من المجتمعات التي تسمى اليوم متقدمة.

فالعراق كان أكثر تقدما من غيره , وكذلك مصر ولبنان , بل أن هذه المجتمعات كانت تضاهي غيرها من مجتمعات الدنيا , لكنها رزخت تحت عاصفة التأخير ومضت تدور في دائرة الخيبات المريرة , وآمنت وتيقنت بأنها متأخرة , وأن التأخر قدرها.

بل أن العراق كان أكثر تقدما في نهاية القرن العشرين منه في بداية القرن الحادي والعشرين , وكذلك سوريا وليبيا واليمن , واليوم هي مجتمعات مندحرة في ويلاتها وتداعياتها التدميرية المروعة.

فالواقع الدنيوي لا يؤيد القول بالمجتمعات المتأخرة والمتقدمة , وإنما بالمجتمعات ذات العزيمة وأخرى تمعن بالهزيمة.

أي أن هناك مجتمعات متوقدة العزيمة ومجتمعات متحمسة للهزيمة , ومجتمعاتنا تتلذذ بالهزائم وتستلطف المظلومية وتؤدي دورها بمهارات إنكسارية وتحطيمية لا مثيل لها في الدينا.

فالذي هزم العرب العرب أنفسهم ولم يهزمهم أحد على الإطلاق , ولا يمكن هزيمة أمة كأمة العرب إلا بالعرب , وتلك حقيقة يجهلها العرب ويعرفها الطامعون بالعرب , ولهذا تحقق لهم ما أرادوا منذ بداية القرن

مشاكل العصور , وعليها أن تعيد رسم خارطة الويلات وفقا لآليات الإستعباد الجديدة للبشر المرهون بأدعياء الدين

المجتمعات تسعى فوق التراب ومجتمعاتنا تندس في أعماق التراب , ومجتمعات الدنيا فرحة مبتهجة ومجتمعاتنا منشغلة باللطم والبكاء

تلك حقيقة مجتمعاتنا التي أصابها الإنحطاط الشامل الكامل , في زمن إرتقت فيه مجتمعات الدنيا وتقدمت , وتسلقت سوامق الوجود وإخترقت الفضاء وتفاعلت مع الكواكب والأجرام من حولنا

العقل العربي يعيش في نمطية خانقة وقولبة بائسة يائسة تدفع به إلى إستنتاجات خائبة ومنحرفة , يتوحل فيها ويطمر الأجيال بأطيانها , فيفقد القدرة على النظر بزاوية أخرى , وأن يرفع بصره لكي يرى الأفق الرحب المطلق الواعد بالجديد

الواقع الدنيوي لا يؤيد القول بالمجتمعات المتأخرة والمتقدمة , وإنما بالمجتمعات ذات العزيمة وأخرى تمعن بالهزيمة.

هناك مجتمعات متوقدة العزيمة ومجتمعات متحمسة للهزيمة , ومجتمعاتنا تتلذذ بالهزائم وتستلطف المظلومية وتؤدي دورها بمهارات إنكسارية وتحطيمية لا مثيل لها في الدينا

الحادي والعشرين.

والذي خرب ديار العرب ومزقهم هم العرب أنفسهم بتعاونهم ضد بعضهم ومع أعدائهم ضد بعضهم البعض , كما حصل للعراق وليبيا واليمن , والعرب يميلون إلى التبعية وتنفيذ مشاريع الآخرين بإندفاعية غير معهودة لدى مجتمعات الدنيا الأخرى التي تعتمد على نفسها في كل شيئ.

ومن هنا فالعرب ليسوا مجتمعات متأخرة بالمعنى الدقيق للكلمة , وإنما مجتمعات بلا عزيمة ولا إرادة وطنية صادقة ذات قيمة إقتدارية وإبداعية , فالعرب لديهم قوة طاردة مركزية شديدة تدفع بعقولهم إلى الهروب وتمنعهم من المساهمة بصناعة الحياة , لأن ما فيهم يُعادي الحياة وينكرها.

فالمجتمعات العزومة المؤمنة بنفسها تكون وتتحقق وتتقدم وتتطور , وتأتي بما لا يخطر على بال من المبتكرات والأدوات الكفيلة بتحقيق تطلعاتها الحضارية.

وعليه فأن العرب مطالبون بشحذ الهمم وتأجيج العزائم لتغيير أحوالهم , وإطلاق طاقاتهم وصبها في أنهار الصيرورات الكبرى , وليس ذلك بعسير على أمة فيها من القدرات الثقافية والموروثات الحضارية ما لا يتوفر عند أمم غيرها.

فأمة العرب بودقة المنطلقات الحضارية والفكرية والعقائدية , وفيها عناصر التأهيل لفعل أي شيئ وتأكيد إرادة الحياة الحرة المطلقة.

فالعرب مجتمعات عليها أن تكون , ويجب أن تكون لأن خيارها وقدرها أن تكون وتساهم في أنوار الوجود الأرضي , فهم حملة مشاعله وشموع مسيراته في ظلمات العصور.

فالعرب يتقدمون بسرعة عندما ينتصرون على هزائمهم النفسية المتراكمة في دواخلهم الكظيمة.

ثامنا:مجتمعات وجامعات!!

العلاقة ما بين الجامعات والمجتمعات حيوية ومتبادلة وذات قيمة حضارية تطورية إرتقائية وتنويرية على جميع المستويات , والتقدم العلمي والمعاصرة تتناسب طرديا مع عدد الجامعات ومستويات التعليم فيها , وذلك يكون في المجتمعات التي تقدمت , لأنها أدركت أهمية وضرورة وحتمية إستقلال الجامعات لكي تطلق الحرية للأفكار وإنطلاق ما في العقول من الطاقات والقدرات الإبداعية.

أما في مجتمعاتنا فأن الجامعات لا تتمتع بالإستقلالية , وإنما تتدخل في أدق تفاصيلها الأهواء السياسية والحزبية والفئوية , مما حولها إلى مؤسسات عديمة الفائدة والدور وفاقدة لقدرات بناء المجتمعات المنوّرة بالمعارف والعلوم وحرية التفكير وقيمة العقل في الحياة , أي أنها فشلت في بناء المجتمعات التي تستخدم عقلها في التفاعلات والتقيمات والتقديرات , وإنما أسهمت في تعزيز الأهواء والإنفعالات وحجبت العقل عن الحياة.

وكان من رواد الدعوة لإستقلال الجامعات في الوطن العربي , عميد الأدب العربي المرحوم طه حسين , الذي جاهد بقوة وإصرار على أن تكون الجامعة مؤسسة مستقلة تماما , وأن يكون التعليم كالماء والهواء , ولم يتواصل أحد من بعده بهذه الدعوة الجوهرية اللازمة للتقدم والرقاء , ولهذا بقيت الجامعات في مجتمعاتنا أسيرة أنظمة الحكم والكراسي التي تريدها أن تكون وفقا لما يسوّغ سلوكيات الكراسي وقرارات الحكام , أي أن الجامعات تحولت إلى منابر لوعاظ الكراسي والحكام أو للترغيب بما يقومون به ويقررونه.

الذي هزم العرب العرب أنفسهم ولم يهزمهم أحد على الإطلاق , ولا يمكن هزيمة أمة كأمة العرب إلا بالعرب

العرب ليسوا مجتمعات متأخرة بالمعنى الدقيق للكلمة , وإنما مجتمعات بلا عزيمة ولا إرادة وطنية صادقة ذات قيمة إقتدارية وإبداعية

العرب لديهم قوة طاردة مركزية شديدة تدفع بعقولهم إلى الهروب وتمنعهم من المساهمة بصناعة الحياة , لأن ما فيهم يُعادي الحياة وينكرها

أمة العرب بودقة المنطلقات الحضارية والفكرية والعقائدية , وفيها عناصر التأهيل لفعل أي شيئ وتأكيد إرادة الحياة الحرة المطلقة

العرب مجتمعات عليها أن تكون , ويجب أن تكون لأن خيارها وقدرها أن تكون وتساهم في أنوار الوجود الأرضي , فهم حملة مشاعله وشموع مسيراته في ظلمات العصور

كان من رواد الدعوة لإستقلال الجامعات في الوطن العربي , عميد الأدب العربي المرحوم طه حسين , الذي جاهد بقوة وإصرار على أن تكون الجامعة مؤسسة مستقلة تماما , وأن يكون التعليم كالماء والهواء

وذات مرة وبعد غزو العراق ببضعة أسابيع حضرت محاضرة لأستاذ جامعي يتحدث فيها عن كتاب له وسط جمع غفير من المستمعين , وقد نسف بحديثه ما جرى للعراق وأثبت بأنه سلوك خطير وأن كل ما نسمعه من تبريرات أكاذيب , وأن الهدف الأول والأخير هو وضع اليد على منابع النفط , وراح يفسر الأحداث التي حصلت في العراق منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم على أنها بسبب النفط , كتغيير الأنظمة والحروب والمشاكل الداخلية وغيرها الكثير من التطورات , وأجزم بأن الذي يحصل لا علاقة له بأي شيئ آخر سوى النفط وهدف آخر , وكانت المحاضرة ذات جرأة وتفنيد صريح وقوي للحرب التي وقعت على العراق.

وبعد المحاضرة سألت رئيس القسم عن لماذا لا تكون هذه المحاصرة في وسائل الإعلام , فأجاب , بأنها الجامعة وهي مؤسسة مستقلة , وما نقوله في الجامعة لا يمكن قوله في وسائل الإعلام , فللجامعة حرمتها المعرفية وقدسيتها الفكرية والعلمية , لكن المحاضر قد ألقى محاضرته على ما يقرب من نصف ألف مستمع , وهذا يعني أنه قد تفاعل مع عقول في المجتمع وعليها أن تتواصل وتتفاعل في التوعية والتنوير.

وفي جامعاتنا لا يمكننا قول الحقيقة وفقا لمنطق معرفي علمي ومهارات إقناعية جدلية ذات قيمة تحفيزية وتثقيفية , وإنما الخوف هو الذي يحكم ويتحكم بحالة الصيرورة القائمة , حتى لتحولت الجامعات في بعض الدول إلى مواطن لنشر الأفكار البهتانية والتضليلية , وللدجل والدعوات الفئوية وكأنها ميادين لتنظيمات سياسية وتحزبية ونشاطات خارجة عن القانون والقيم والأخلاق , فلا حرمة للجامعة ولا للأستاذ الجامعي , ولا معنى للجامعة إلا بمدى مساندتها للنظام الحاكم وتعبيرها عن وجهات نظره , بل وأن تكون مناهجها متوافقة مع ما يريده ويهدف إليه.

وبهذا فأن كثرة الجامعات لا يساهم في التقدم والتحضر , وإنما يشارك في زيادة مساحة التجهيل وإلغاء دور العقل والتطبيل للتبعية والإذعانية , فما قيمة العقل في مجتمعات تدين بالتبعية لهذا وذاك من ذوي الرؤوس العفنة والنفوس السيئة والسلوكيات المنحرفة , ووفقا لذلك فأن أخلاقيات هذه المجتمعات تتردى , وقدرتها على التواصل المعاصر تضعف وتنعدم , وتتحول إلى مطية للآخرين أيا كانوا ومن أين جاؤوا.

ولن تقوم قائمة لمجتمعات لا تؤمن بالعقل والبحث العلمي والتفكير العلمي, وتمنع أو تحرم إستقلال الجامعات , وتحسبها سوحا للصراعات السياسية والفئوية والتحزبية الضارة بالحياة.

وختاما فأن الرؤية الجمعية الفاعلة في الأعماق البشرية هي التي تحدد الحالة التي تكون عليها في أي مكان وزمان , فالواقع تصنعه مكنونات النفوس والرؤس ولا يمكن فصلهما عن بعضهما , فما حولنا مرآة ما فينا , وتلك حقيقة تفاعلية فعلت فعلها في مسيرات الأجيال المتوافدة فوق التراب وهي محفوفة بدهشتها المصيرية!!

في جامعاتنا لا يمكننا قول الحقيقة وفقا لمنطق معرفي علمي ومهارات إقناعية جدلية ذات قيمة تحفيزية وتثقيفية , وإنما الخوف هو الذي يحكم ويتحكم بحالة الصيرورة القائمة , حتى لتحولت الجامعات في بعض الدول إلى مواطن لنشر الأفكار البهتانية والتضليلية

ما قيمة العقل في مجتمعات تدين بالتبعية لهذا وذاك من ذوي الرؤوس العفنة والنفوس السيئة والسلوكيات المنحرفة

لن تقوم قائمة لمجتمعات لا تؤمن بالعقل والبحث العلمي والتفكير العلمي, وتمنع أو تحرم إستقلال الجامعات , وتحسبها سوحا للصراعات السياسية والفئوية والتحزبية الضارة بالحياة

الواقع تصنعه مكنونات النفوس والرؤس ولا يمكن فصلهما عن بعضهما , فما حولنا مرآة ما فينا , وتلك حقيقة تفاعلية فعلت فعلها في مسيرات الأجيال المتوافدة فوق التراب وهي محفوفة بدهشتها المصيرية!!

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa231-250219.pdf

شبكة علوم النفس العربية
نحو لياقة نفسانية أفضل
مؤسسة العلوم النفسية العربية
معا ... نذهب أبعد
Arabpsynet